العرب على المدى الطويل . بل انه برزت ايضاً ، بين هذه القطاعات ، مجموعات معينة ، بغض النظر عن حجمها ، وصلت الى قناعة مفادها ان استلام المتصلبين مقاليد الحكم في اسرائيل قد يجر كارثة على الكيان الصهيوني ؛ اذ لا يعقل ــ بحسب مفاهيمهم على الاقل ــ ان يوافق العرب على التعامل مع تلك الصنف من الصهيونيين . ولكن ، على الرغم من تلك ، بقي غلاة التوسعيين متشبثين بنهجهم وآرائهم . ولم يجد بيغن ، على سبيل المثال ، من تعليق على خبر فوز تكتله (الليكود) في الانتخابات العامة في اسرائيل ، في صيف ١٩٧٧ (بعد ان كان قد خسر تلك الانتخابات ٨ مرات متتالية قبل ذلك) ، ومن ثم امكانية تعيينه رئيسا للحكومة الاسرائيلية ، الا ان يقول ان ذلك يعني « انتصار الصهيونية » . ولم يكن بيغن ، بقوله هذا ، يعبر فقط عن غبطته بنجاحه في الانتخابات ، بقدر ما كان يغمز ايضا من قناة الجناح الصهيوني الآخر ، الذي حكم اسرائيل حتى ذلك الوقت ، محاولا الايحاء ، بطريقته الخاصة ، بأن السياسة الاسرائيلية ستسير ، منذ تلك اللحظة ،وفق مبادىء تياره ، وان هذه المبادىء بالذات هي التي ستؤدي الى « انتصار الصهيونية » .

ولم تمر الا اربعة اشهر ، حتى اتضح ان تعليق بيغن هذا لم يكن كلاما القي على عواهنه ، وذلك مع قيام السادات بزيارة الكنيست ، في ما اصبح مقدمة لاتصالات ومفاوضات انتهت بعقد الصلح بين اسرائيل ومصر ، كبرى الدول العربية . وليس في مثل هذا التطور الا نوع من الانتصار للصهيونية ، مهما كان حجمه ، اضافة الى انه « انتصار » لم يستطع المعراخ تحقيقه ، رغم المحاولات العديدة التي بذلها في هذا الصدد ، خلال فترة طويلة .

صحيح ان القوة الاسرائيلية ، التي كانت ــ دون شك ــ واحدا من العوامل التي دفعت السادات الى تغيير اتجاهه ، ومن ثم القيام بـ « مبادرته » ، لم تكن ، تاريخيا ، من « صنع » بيغن او مؤيديه ، ضيقي الافق وقصيري النفس ، بل كان « العمال » هم الذين خلقوها ، خلال فترة طويلة من الجهد المتواصل ، بواسطة مؤسساتهم المتشعبة وتحت قيادة زعمائهم المختلفين . وصحيح ايضا ان السادات ، بعد ان اتخذ قراره ، كان سيقوم بزيارته لاسرائيل ان كانت تحت حكم اي من المعراخ او الليكود . ولكن صحيح كذلك ان الزيارة لم تتم في نهاية الامر ، خلال حكم المعراخ ، بل في عهد الليكود ، حامل لواء التشدد والتعصب الصهيوني ، وان كانت الفروق بينه وبين التيارات الصهيونية ، او بعض المنتمين اليها ، تضمحل احيانا عند التطبيق . والعبرة المترتبة على مثل هذه الوقائع واضحة للغاية : لقد أثبت التصلب و « الثقة بالنفس » والتمسك بـ « الحقوق » جدواه ؛ فالصهيونيون صبروا وضحوا كثيرا ، وحققوا بعض اهدافهم المهمة اخيرا . اما الدرس ، فهو اكثر وضوحا : مزيد من التصلب لتحقيق مزيد من المكاسب على الجبهات الاخرى . فالقول بأن العرب لا يفهمون الا لغة القوة لا يبدو خالياً من الصحة .

« الفلسطينيون غير مهمين »

اذا كان الدرس الاول ، الناجم عن اتفاقية السلم الاسرائيلية ــ المصرية ، لا يشير ، صهيونيا ، الا نحو ضرورة التمسك بالتصلب ، باعتبار ان لهذا النهج فوائده ، على ما في الامر من خطورة ، فان الدرس الثاني لا يقل خطورة عنه . وقد عبر عن ذلك ، والى حد ما بعفوية ، اسحاق شامير ، رئيس الكنيست في عهد الليكود ، ثم المرشح لمنصب وزير الخارجية